الفصل الثانى

الفصل الثاني
الفروق بين الذكر والأنثى

ربما يتبادر فى الأذهان سؤال يتعلق بماهية الأسباب التى تؤدى إلى إحداث الفروق بين الجنسين ذكراً كان أم أنثى. فقد تبين أن هذه الفروق تعزى فى المقام الأول إلى عاملين: أولهما: العامل البيولوجى، وثانيهما: العامل النفسى.

أولا: العامل البيولوجي:

تحدث الفروق بين الذكور والإناث بسبب طبيعة الهرمونات التى تفرز فى دم كل منهما؛ فقد تبين أن هرمون التستوسترون Testosterone هو الهرمون المسئول عن الذكور. فى حين أن هرمون الإستروجين Estrogen هو الهرمون المسئول عن الأنوثة. ويصاحب إفراز كل هرمون فى الدم فى كل من الذكور والإناث بعض المظاهر الجنسية الثانوية. غير أنه لا يعرف كائن مطلق الذكورة أو كامل الأنوثة. إذ إن كل كائن يحوى النوعين من الهرمونات، وإن كانت نسبة أحدهما إلى الأخرى تختلف، ويتراوح تدريجياً بين الذكورة المطلقة والأنوثة الكاملة، وهما نهايتان نظريتان فحسب. ولذا فإن بعض الرجال أشد ذكورة من غيرهم، أو أضعفها، وبعض النساء أكثر أنوثة من غيرهن أو أقلها، وبينهم تسلسل من الدرجات الوسيطة التى لا نهاية لها. وهذا هو السبب فى تخنث بعض الرجال وترجل بعض النساء. وإذا انعدمت مظاهر الرجولة: كنمو الأعضاء الجنسية الخارجية، وظهور شعر الوجه والجذع، وتضخم العضلات، وروح النضال والمنافسة. كما يسبب عدم إفراز الإستروجين عند النساء غياب مظاهر الأنوثة: ككبر الثديين، واستدارة الجسم، وغرازة شعر العانة، وتشحم الإليتين (Hutt, 1972).

ويتحدد نوع الجنين ذكراً كان أم أنثى عند تلقيح البويضة بعدد الكروموسومات التى تضمها، ولا يمكن تغييره بأية طريقة، ثم ينمو كل من النوعين الذكر أو الأنثى، نمواً متشابهاً كل التشابه، إلى أن تظهر الخصية فى الجنين الذكر

وتبدأ فى صنع التستوسترون. وعندئذ وتحت تأثير هذا الهرمون تتحول الأعضاء التناسلية الخارجية إلى شكلها المميز. كما يظهر المبيض فى الجنين الأنثى ويبدأ إفراز الإستروجين الذى يصبغ عليها ملامح الأنوثة.

الجهاز التناسلى للذكر:

يتكون الجهاز التناسلى للذكر من الأجزاء التالية:

الخصيتان: تعد الخصية عضواً رئيسياً من أجل تكوين الحيوانات المنوية، وتوجد الخصيتان فى كيس معلق فى أسفل القضيب؛ ولكل منهما شكل بيضة مسطحه قليلاً. ويبلغ وزن الخصية ٢٠ جراماً؛ وطولها خمس سنتيمترات؛ وعرضها ثلاثة سنتيمترات ونصف؛ وسمكها ثلاثة سنتيمترات، وإذا تم تجريد الخصية من الغلاف الخارجى فإن لها لوناً أبيض مائلاً إلى الزرقة؛ وملمساً يشبه الكرة المطاط فى الصمود والمرونة. وتتكون الخصية من الداخل من عدة فصوص صغيرة تحتوى على القنوات المنوية الشعرية.

قناة الخصية: توجد قناة الخصية على السطح العلوى من الخصية؛ ويبلغ طولها خمسة سنتيمترات؛ وهى ملتفة على نفسها؛ إذا مدت بلغ طولها ستة أمتار. ولهذه القناة رأس متصل بالخصية يتلقى منها الحيوانات المنوية؛ وذنب يتصل بالقناة المفرغة ويوصل الحيوانات المنوية إليها.

القناة المفرغة: يبلغ طول القناة المفرغة ٤٥ سنتيمتراً وقطرها مليمترين؛ وهى تبدأ من قناة الخصية ثم تخترق التجويف البطنى، وتسير فى طريق متعرج يقترب من المثانة والمستقيم ثم تتصل بالقناة البولية.

الأكياس المنوية: تعد الأكياس المنوية بمثابة خزانات للمنى الذى تفرزه الخصية؛ حيث يتجمع فيها قبل أن يقذف إلى الخارج؛ وهى موجودة فى نهاية القناة المفرغة؛ ويبلغ طول هذه الأكياس ٥ سنتيمترات؛ وعرضها سنتيمترين؛ وسمكها سنتيمتر واحداً. ويوجد بداخلها قناة ملتفة على نفسها؛ وتتصل هذه الأكياس بالقناة

البولية عن طريق قنوات صغيرة طولها من سنتيمتر إلى اثنين وتسمى قنوات الإمناء.

البروستات: البروستات ما هى إلا غدة موجودة فوق المثانة لها شكل هرم رأسه إلى الأسفل؛ وهى تحيط بالقناة البولية لدى خروجها من المثانة؛ ووزنها ٢٠ جراماً تقريباً؛ وطولها ٤ سنتيمترات؛ وعرضها سنتيمترين؛ وسمكها سنتيمترين. وتقوم البروستات بوظيفة إفراز السائل من المنى؛ وينتقل هذا الإفراز السائل إلى القناة البولية عن طريق عدد من الفوهات التى تنتهى بها قنوات الإمناء الآتية من الأكياس المنوية.

القناة البولية: أن القناة البولية جزء من الجهاز البولى ومن الجهاز التناسلى فى نفس الوقت؛ وتمتد من عنق المثانة إلى طرف القضيب. ويبلغ طول القناة البولية من ١٦ إلى ١٨ سنتيمتراً؛ ولها ثلاثة أقسام: القسم البروستاتى وطوله ٢ سنتيمتر؛ والقسم الثانى وطوله سنتيمتر ونصف؛ والقسم الاسفنجى وطوله يمتد من ١٢ إلى ١٤ سنتيمتراً. وإلى جانب هذا؛ فإن القناة البولية ليست متناسبة المقطع، إذ فيها ثلاثة انتفاخات؛ وتضيق فى طرق الأحلين حتى يبلغ قطر فوهتها ٧ مليمترات فقط. إضافة إلى هذا، يكسو داخل القناة البولية نسيج مخاطى أحمر اللون، تتخلله فى القسم البروستاتى عدة فوهات هى فوهات القنوات البروستاتية والقنوات المنوية.

القضيب: أن القضيب هو عضو الجماع لدى الذكر؛ ومكانه أسفل العانة فوق كيس الخصيتين؛ ويتخذ القضيب فى حالة الاسترخاء شكل اسطوانة غير منتظمة مسطحة قليلاً من الأمام إلى الخلف؛ أما فى حالة الانتصاب فيتخذ شكل منشور ثلاثى. كما يوجد فى رأس القضيب انتفاخ مخروطى الشكل هو الحشفة؛ ورأس الحشفة مثقوب بفوهة هى الثقب البولى؛ وتنفصل أطراف الحشفة عن القضيب بثلم له شكل مزراب. ويبلغ طول القضيب فى حالة الاسترخاء ما بين ٩ إلى ١١

سنتيمتراً؛ ومحيطه ٩ سنتيمترات؛ أما فى حالة الانتصاب فيصبح طوله ما بين ١٥ إلى ١٦ سنتيمتراً؛ ومحيطه ١٢ سنتيمتراً.

إلى جانب هذا، يتألف القضيب من الناحية التشريحية من أجسام كهفية محيطية؛ ومن جسم إسفنجي فى الوسط يحيط بالقناة البولية؛ وفى حالة الانتصاب تنتفخ الأجسام الكهفية وتصبح صلبة إذ يمتلئ النسيج الكهفى الذى تتألف منه بالدم القادم من شرايين القضيب؛ فإذا انتهى الانتصاب عاد الدم فخرج من النسيج الكهفى عن طريق أوردة القضيب؛ ويمكن القول أن الجسم الإسفنجي له نفس تركيب الجسم الكهفى.

كما تتألف الحشفة من اجتماع رؤوس الأجسام الكهفية والإسفنجية؛ ومن نسيج غددى يحيط بهذه الرؤوس. وتحيط بالقضيب عدة أنسجة أهمها الجلد السطحى؛ ثم طبقة من الألياف العضلية الملساء غير الإرادية التى تنقبض تحت تأثير البرد والتهيج؛ ثم طبقة من الخلايا شديدة الرخاوة والمرونة بما يسمح بانزلاق الجلد على السطح التى تقع إلى أسفله، ويأتى بعدها غشاء أخير ليفى شديد المرونة مما يساعد على تغيير حجم القضيب. أما القلفة فهى امتداد لقشرة القضيب العضلية الجلدية، وهى تشبه قمعاً، مهمته تغطية الحشفة؛ وفى باطن القلفة غشاء مخاطى يفرز مادة دهنية مهمتها تسهيل انزلاق الخشفة. ويوضح شكل (١) الأعضاء الحوضية فى الذكر.

شكل (١) الأعضاء الحوضية فى الذكر

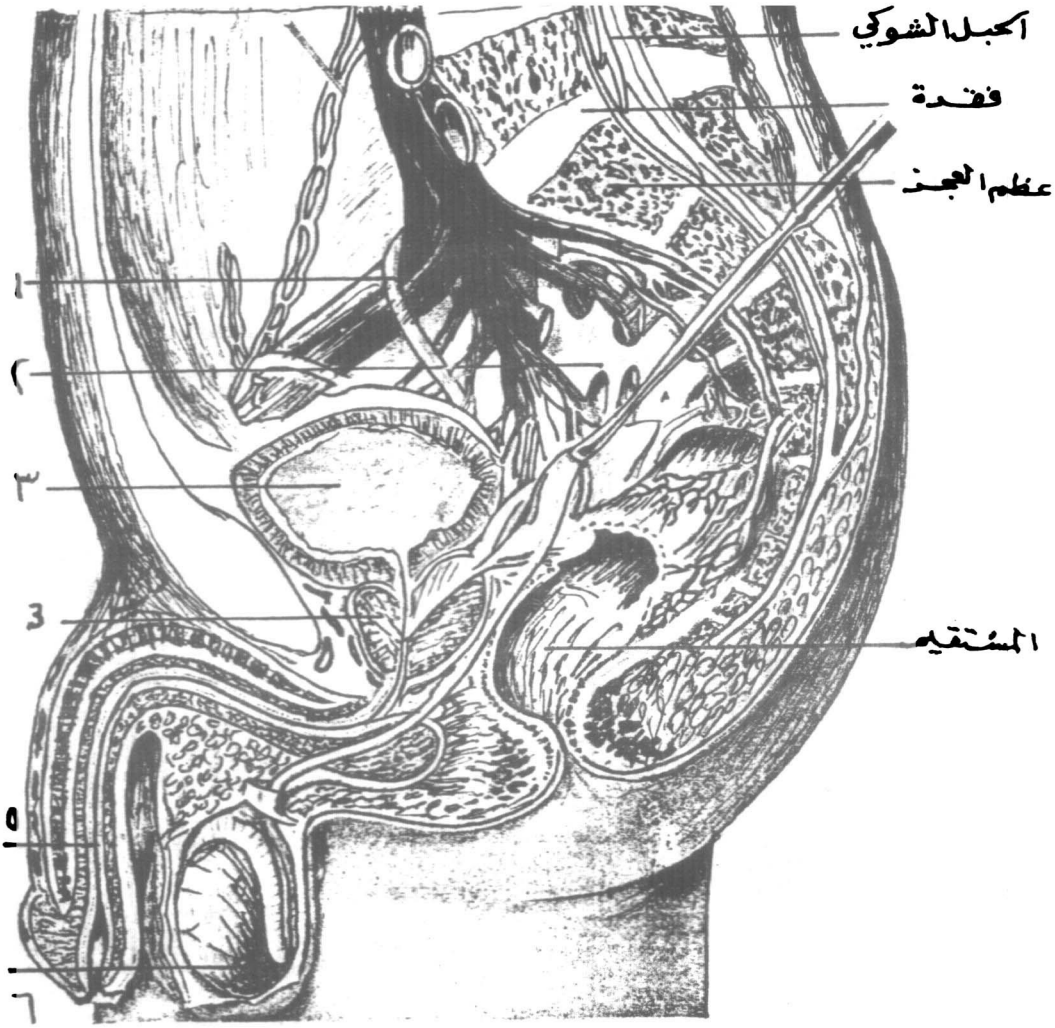

١- الحالب
٢- الأعصاب العجزية
٣- المثانة
٤- البروستات
٥- مجرى البول
٦- الخصية

الجهاز التناسلي للأنثى:

يتكون الجهاز التناسلي للأنثى من جزئين إحداهما خارجي والآخر داخلي، وفيما يلي وصف لهذين الجزئين:

أ- الجزء الخارجي:

يعرف الجزء الخارجي للمرأة بفرج المرأة، ويقصد به كل المكونات الخارجية من جهاز المرأة التناسلي أي الشعر وطيات الجلد ومنحنى المهبل والبول. وفيما يلي تفصيل لتلك الأجزاء.

١- **منطقة العانة**: يسمى اليونانيون القدماء منطقة العانة بهضبة فينوس؛ وهي منطقة تكون ملساء قبل البلوغ، ثم يظهر عليها الشعر بعد البلوغ؛ وهي منطقة تغطي عظم العانة. ويوجد بين عظم العانة والجلد طبقات من الشحم، وارتفاع هذه الطبقة الشحمية يختلف من امرأة إلى أخرى. كما يختلف شعر العانة من امرأة لأخرى من ناحية الكثافة والتوزيع والنوعية واللون.

٢- **الشفران الأساسيان (الخارجيان)**: يسمى بالشفرين الأساسيين لأنهما الأكبر والخارجيان لموقعهما وهما يعتبران بمثابة البوابة لفرج المرأة، وهما يعملان كقفل أو تغطية له. ويمتد الشفران الخارجيان من العانة ليغطيا الفرج ويبتدأن من منطقة الفخذين ممتدين بطرفيهما إلى الداخل حتى يلتصقا بالشفرين الداخليين.

٣- **الشفران الثانويان (الداخليان)**: يسمى الشفران الثانويان لأنهما الأصغر والداخليان لموقعهما، وهما من ضمن الشفران الخارجيان وملتصقان بهما، وهما عديمان الشعر ومتدليان من البظر وينزلان إلى فتحتي المهبل والبول. ويحتوى الشفران الداخليان على غدد عرقية ودهنية وشعيرات دموية مركزة واضحة ونهايات عصبية كبيرة.

٤- **البظر**: يشمل البظر جذع خارجي وحشفة "رأس" وساق داخلي. ويقع الجذع والحشفة تحت الشفرة الداخلية حيث يلتقيان عند نقطة واحدة ويتغطيان بغطاء البظر. ويتكون جذع البظر من جزئين إسفنجيين وهما يكونان الساق ويمتدان إلى الحوض الداخلي. وتختبأ الحشفة تحت غطاء البظر؛ وهي رقيقة، وشفافة إلى حد ما ومدورة. وعلى الرغم من صغر البظر إلا أنه مثل القضيب عند الرجل؛ حيث أنه مملوء بالخلايا العصبية؛ وخاصة الحشفة وذلك يعود إلى أن الجنين في بداية نمو جهازه التناسلي تكون تركيبة الجهاز واحدة، ولكن في الأسبوع الرابع يبدأ تبلور القضيب عند الذكر من أصل البظر ويلتحم الشفران إلى الخصيتين، ويبقى الجهاز على ما هو عليه عند الأنثى في شكله الخارجي.

٥- **الدهليز**: سمي هذا الجزء بالدهليز لأنه ينطبق على شكله؛ حيث أنه منطقة داخل الشفرين الداخليين، وهو منطقة غنية بالنهايات العصبية والخلايا الدموية، وهو يحتوى على فتحتي البول والمهبل.

فتحة البول: يتجمع البول في المثانة ليخرج عن طريق فتحة البول. وقناة البول هي قناة قصيرة متصلة بين المثانة والفتحة، وتقع بين البظر وفتحة المبهل.

فتحة المهبل وغشاء البكارة: تقع فتحة المهبل بين فتحة البول وفتحة الشرج؛ وهي مغطاة بغشاء البكارة. ويتفاوت غشاء البكارة شكلاً وسمكاً من امرأة لأخرى، وله عدة أشكال منها الغشاء الهلالي وفتحته تشبه شكل الهلال، والغشاء المفصول وهو عبارة عن فتحتين مستطيلتين، والغشاء المنخلي وبه ثقوب كثيرة تشبه المنخل، كما توجد بكارات ذات أغشية رقيقة وأغشية خشنة. ويوجد بغشاء البكارة فتحة على عكس ما

يعتقد الكثيرون أن غشاء البكارة غشاء كامل الغطاء، وتمهد هذه الفتحة خروج دم الحيض.

العجان: وهى منطقة ملساء تقع بين فتحتى المهبل والشرج، وهى مملوءة بالنهايات العصبية.

ب- الجزء الداخلى:

يتكون الجزء الداخلى من الجهاز التناسلى للمرأة من المهبل، وعنق الرحم، والرحم، وقناة فالوب، وفيما يلى تفصيل لهذه الأجزاء.

١- **المهبل**: يقع المهبل بين الشفرين الداخليين، ويمتد داخل الجسم منحرفاً إلى أعلى باتجاه الظهر، ويبلغ طوله من ثلاثة إلى خمسة إنشات. ويتكون المهبل من ثلاث طبقات من الأنسجة، وهى أنسجة مخاطية، وعضلية، وليفية، وكلها غنية بالشعيرات الدموية، وليس فيها غدد.

٢- **عنق الرحم**: يقع عنق الرحم خلف المهبل وهو يشبه نهاية (الكمثرى) ويحتوى على غدد الإفرازات المخاطية. ويعد عنق الرحم الطريق الممهد إلى الرحم.

٣- **الرحم**: الرحم عبارة عن تجويف يشبه الكمثرى طوله ثلاث إنشات وعرضه إنشان، وهذا يكون عند المرأة التى لم تنجب سابقاً ولكن بعد الولادة يتسع. ويكون قاع الرحم إلى أعلى، حيث يكون الجدار سميكاً. وهذا الجدار العضلى للرحم به نسيج يشبه نسيج السلال. ويساعد هذا النوع من البناء العضلى على التمدد والتقلص أثناء الولادة أو النشوة الجنسية. ويكون الرحم متعلقاً فى كهف الحوض بواسطة ستة أربطة. ويختلف موقع الرحم من امرأة لأخرى، فيوجد فى بعض النساء لاصقاً بالعمود الفقرى، ويوجد فى البعض الآخر فى المنطقة الأمامية، وهو يحتوى على النطفة بعد تخصيبها.

٤- **قناة فالوب**: كل قناة من قناتى فالوب لها امتداد أربعة إنشات وتمتد من الرحم إلى يمين ويسار تجويف الحوض، وفى نهاية القناة يوجد شيء يشبه القمع وفيه المبيض، ويتم نزول البويضة وهى قريبة من المبيض حيث يتم الإخصاب، وتنزل عبر قناة فالوب إلى الرحم. ويتم سير البويضة من المبيضين إلى الرحم بشكل دفع نتيجة موجة من الأهداب والتقلصات، وهى تسير نتيجة هذا الدفع بمعدل إنش واحد كل أربعة وعشرين ساعة. وهكذا تكون قناة فالوب هى بداية رحلة النطفة وتكوينها ونموها وبلورتها.

٥- **المبيضان**: يقع المبيضان فى نهاية قناة فالوب ويكونان مربطين فى الرحم كلاً بواسطة رابطان. ويكون المبيضان بحجم وشكل اللوزة، وهما مسئولان عن هرمون الأنوثة، ومن فترة البلوغ إلى انقطاع الحيض يقومان بالتناوب بإنتاج بويضة واحدة كل شهر. ويوضح الشكل (٢) الأعضاء الحوضية فى الأنثى.

شكل (٢) الأعضاء الحوضية فى الأنثى

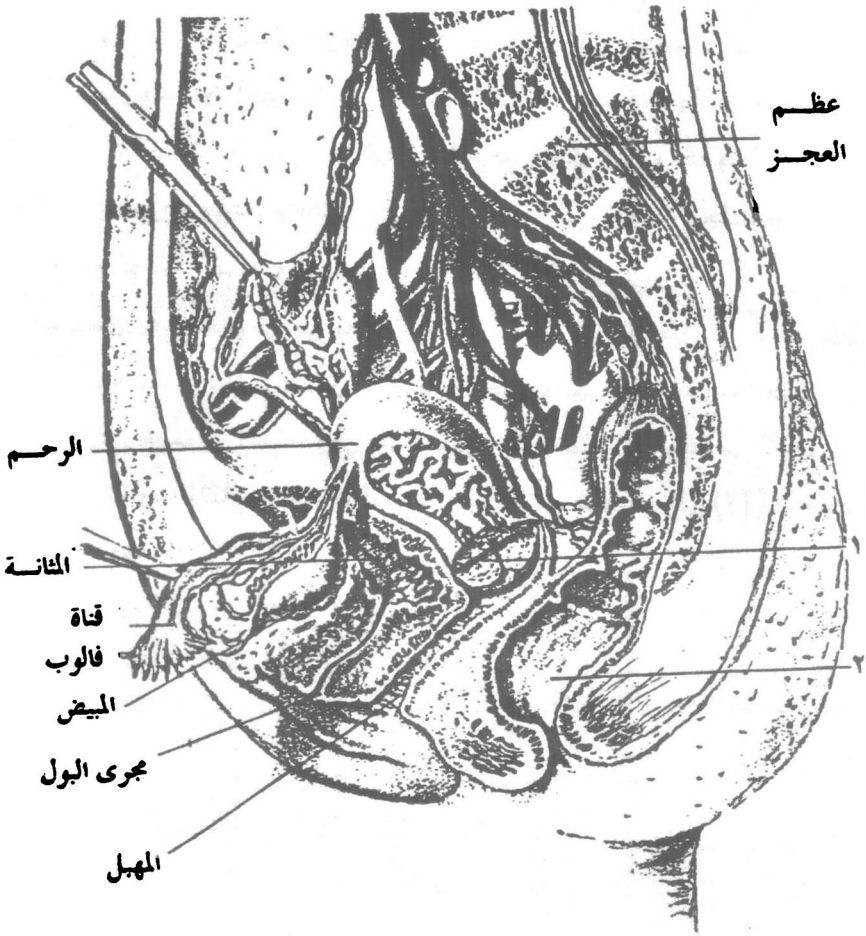

١- عنق الرحم.

٢- المستقيم.

ثانيا: العامل النفسى:

يوجد مفهومان من المفاهيم النفسية اللذان يكونان بمثابة القاعدة الأساسية لدراسة تطور دور الجنس:

أولهما: التنميط الجنسى، **وثانيهما:** التوحد مع دور الجنس.

[١] التنميط الجنسى:

ويقصد بالتنميط الجنسى اكتساب السلوك سواء المرتبط بالأدوار الجنسية الذكرية أو الجنسية الأنثوية عند مراحل عمرية مختلفة أثناء فترة النمو. والتنميط الجنسى ما هو إلا عملية يكتسب الأفراد من خلالها القيم ويتبنون الأنماط الثقافية للسلوك المنمط جنسياً (Mischel, 1970)، كما يقصد بالتنميط الجنسى مجموعة من المعتقدات والاتجاهات وأوجه النشاط التى تحكم الحضارة التى ينشأ فيها الطفل بأنها مناسبة للجنس الذى ينتمى إليه. ذلك أن غالبية أعضاء المدنية الغربية يشتركون فى اعتقاد عام مؤداه أنه لابد وأن يختلف الذكور عن الإناث فى السلوك على أن هذه المعتقدات المتصلة بأوجه الخلاف قد تكون ضمنية وغير شعورية فى بعض الحالات، كما أنها قد تكون صريحة يشجع عليها بصفة شعورية واعية. ومعظم الوالدين يثيبون السلوك الذى يرونه مناسباً لجنس طفلهم ويعاقبون الاستجابات التى يرونها غير مناسبة. ومن شأن هذه الاتجاهات جنسياً أنها قد تنتقل من جيل إلى جيل يليه بشيء قليل من التغير فى المحتوى. كما توجد عدة دوافع تؤدى إلى انصياع الطفل لأنواع السلوك المنمطة جنسياً وهى:

(١) الرغبة فى المدح، والمودة والتقبل من جانب الأبوين والأقران ورضاهم من أنواع السلوك المنمطة جنسياً.

(٢) الخوف من العقاب أو النبذ بسبب السلوك غير المناسب.

(٣) التوحد مع الأب من نفس الجنس، أو مع بديل الأب، أو مع ذات مثالية متخيلة.

(سلامة وجابر، ١٩٧٠: ٣٣٢-٣٣٤)

وبالإضافة إلى ذلك؛ يظهر معظم الأفراد السلوك الجنسى المناسب الذى يوجه نحو نظرائهم من الجنس الآخر، وهذا إنما يعكس مظهراً من مظاهر التنميط الجنسى (Mussen, 1968). ويتم تعلم الدور الجنسى منذ الطفولة، حيث يتسم الذكور بالسيطرة والعدوان والاستقلال والتنافس والنشاط، فى حين تتسم الإناث بالسلبية والخضوع والاعتماد وعدم التنافس والطاعة، ويشير مونى وايرهارت Money and Ehrhandt (١٩٧٢) إلى أنه إذا عومل الولد كأنثى حتى سن الرابعة فإنه لا ينمى مفهوماً سليماً وتطابقاً صحيحاً مع نفس جنسه.

[٢] التوحد:

من الصعوبة بمكان تعريف هذا المفهوم لأنه ربما يتغير عبر السنوات وفقاً لصياغة وتعديل نظريات الشخصية (Mischel, 1970)، ويمكن اعتبار التوحد نوعاً من أنواع السلوك. فإذا قلنا: إن شخصاً ما يوحد مع شخص آخر، فإن هذا يعنى أن هذا الشخص يسلك مثلما يسلك الشخص الآخر فى عديد من التصرفات مثل عادات اللغة، وتوجه القيم، والميول وأساليب التفكير، ومع ذلك، فإن التوحد لا يمكن تعريفه بسهولة من خلال التماثل أو التشابه السلوكى. وبعبارة أخرى، فإنه ربما يوحد شخص ما يرغب فى أن يحاكى شخص آخر، وعندما تحدث هذه المحاكاة تنمو رابطة انفعالية قوية مع هذا الشخص. لذا، فإنه يمكن تعريف التوحد على أنه عبارة عن علاقة عاطفية قوية ومجموعة من العمليات أو الميكانيزمات يحاول الأطفال محاكاتها (Hurlock, 1972). ويبدو أن مصطلح التوحد متزامن مع مفهوم التنميط الجنسى.

ويشير مفهوم التوحد إلى العملية التى تجعل الطفل يفكر ويشعر ويسلك وكأن خصائص شخص آخر أو جماعة أخرى من الناس خصائصه (Kagan, 1965) إلا أن عملية التوحد قد تكون عملية لا شعورية إلى حد كبير. أى أن الطفل قد يتوحد مع نموذج ما من غير أن يكون على وعى بذلك. فالتوحد ليست عملية تبدو بإرادة

الفرد كما تلعب الضغوط الاجتماعية دوراً كبيراً فى عملية التوحد، ومثال ذلك أن معظم الذكور يميلون إلى التوحد مع آبائهم، فى حين تميل الإناث إلى التوحد مع أمهاتهم.

ويعزو هذا إلى أن البيئة الاجتماعية تشجع الطفل على أن يطبع نفسه على نسق الأب المماثل له فى الجنس، وتعاقبه على التوحد مع سمات الأب المخالف له فى الجنس. أى أن الذكر يواجه ضغطاً يضطره إلى تقليد الأب وهو كلما زاد فى تقليد الأب، ازدادت قوة عملية التوحد عنده. ومن ناحية أخرى، يدرك الطفل قدراً كبيراً من التشابه بينه وبين الوالد المماثل له فى الجنس، وهذا من شأنه يؤدى إلى تقوية عملية التوحد مع الوالد المماثل (سلامة وجابر، ١٩٧٠: ٣٤١-٣٤٢). كما ينبغى الإشارة إلى أن الآباء ليسوا يمثلون وحدهم النماذج التى يتوحد معها الأطفال. إذ قد يتم التوحد مع الكبار الذى ينظر إليهم على أنهم أقوى وأكثر كفاءة من الطفل. والإناث اللاتى لهن إخوة ذكور أكبر منهن يملن إلى "الاسترجال". على حين أن الذكور الذين لهم أخوات أكبر منهم يكون عندهم قدراً كبيراً من الخصائص الأنثوية (Koch, 1956). أى أن الأنثى ذات الأخ الأكبر تكون أكثر ميلاً إلى العدوان والمثابرة والحسم فى المشكلات من الأنثى ذات الأخت الكبرى أو الأخت الصغرى، كما أن الذكور ذوى الأخوات الأكبر يكونون أقل ميلاً إلى العدوان من الذكور ذوى الأخوة الأكبر.

ومع ذلك، يعتبر الوالدان أول موضوعات التوحد بالنسبة للطفل، نظراً لما يمثلانه – فى نظره – من سلطة ومعايير وحب وكل ما يمس حياته فى هذه المرحلة المبكرة من عمره. إلا أن موضوعات التوحد تتغير وتتسع بنمو الطفل واتساع نطاق إدراكه واهتمامه، حيث تصبح لكل مرحلة عمرية – تقريباً – أنماط تفصيلية من الموضوعات التى ينجذب نحوها وفق ما يتراءى له أنها تتفق مع أهدافه ورغبته النامية. وقد تكون هذه الموضوعات شخصيات حقيقية أو خيالية، أفكاراً أو مثاليات

أو عقائد، وقد يتوحد الطفل مع كل أو بعض الخصائص والسمات التى تميز هذه الموضوعات حسبما يجد فيها من مغريات يرى أنها تساعده على بلوغ هدفه وهو خفض التوتر فإذا تحقق له ذلك استدمجت الصفة أو الصفات المطلوبة وإلا أصبح التوحد غير ذى موضوع وهكذا لا تخلو هذه العملية من بعض المحاولة والخطأ ويكون البناء النهائى للشخصية عبارة عن مجموع ما تم من توحدات فى فترات زمنية متباعدة من حياة الطفل (على، ١٩٨٨:١١٠).

وبالإضافة إلى ذلك، توجد ثلاث نظريات رئيسية تناولت مفهومى التنميط الجنسى والتوحد، وهذه النظريات هى نظرية التحليل النفسى، والنظرية المعرفية، ونظرية التعلم الاجتماعى.

أ- نظرية التحليل النفسى:

ترى نظرية التحليل النفسى أن التوحد مع الجنس الملائم يحدث كنتيجة لحل الموقف الأوديبى. ففى المرحلة الأولى يميل الطفل إلى الوالد من الجنس الآخر ولكنه على مستوى ضعيف من الوعى ويتمنى موت نفسه وهو الوالد من نفس الجنس.

وفى وقت ما يبدأ الطفل فى التفكير قائلاً لنفسه: إذا كان هذا هو إحساسى نحوه وتمنيت موته فربما يكون هو الآخر يشعر نفس المشاعر نحوى. كما أنه أضخم ويمكن أن يحول مشاعره إلى فعل. فيبدأ الطفل فى الخوف من الوالد من نفس الجنس. وكنتيجة لهذا الخوف يتخلى عن الوالد من الجنس الآخر كموضوع للحب ويتوحد مع الوالد من نفس الجنس. وعند التوحد مع الوالد من نفس الجنس يتطابق الطفل أيضاً مع المجتمع ككل وينمى ذاته العليا فيصبح متقبلاً قوانين المجتمع على أنها صحيحة وعادلة ويحاول إتباعها ويشعر بالذنب عندما يتعدى عليها (يوسف وعبد السلام، ١٩٨٣:٤٥٩-٤٦٠). كما تشير نظرية التحليل النفسى (Freud, 1949) إلى أن عملية التوحد من أصعب العمليات لنمو الشخصية الكلية.

ويمكن تبسيط عملية التوحد بأنها تبدأ بميل قوى لكل من الذكور أو الإناث وعلاقة حب وطيدة مع الأم ويتم هذا فى مرحلة الطفولة، ويطلق على هذه العملية التوحد الإتكالى Anaclitic indenitification، وهى تعتبر بمثابة العملية الرئيسية للإناث.

أما الذكر فإنه يبحث عن طريقة ما حتى يمكن من خلالها أن يستأثر بالأم وتصل مطالب الذكر لحب وشد انتباه الأم واهتمامها خاصة فى سنوات ما قبل المدرسة الابتدائية، كما تعتريه بعض المشاعر العدائية والتنافسية تجاه الأب حتى يستأثر بالأم، ولكن الطفل يدرك أن الأب قوى ويمتلك القوة والقدرة لكى يتجاهل منافسه الصغير، فيؤدى هذا إلى استجابة خوف عامة ويبدأ هذا الخوف خاصة عندما كان عمر الطفل خمس أو ست سنوات، وهذا هو العمر الذى يتكون فيه القاعدة الأساسية لتوحد الذكر الدفاعى مع الأنا. ويضع هذا التوحد حداً لنهاية الخوف والتنافس العدائى مع الأب، وهذه العملية يمكن وصفها بالعبارة التالية: إذا لم تستطع أن تتفوق عليه، انضم إليه، لأن القلق أو الخوف يكوّن رد فعل لهذا التنافس المستحيل مع الأب. كما لا يقتصر أهمية مفهوم التوحد على توضيح ديناميات النمو النفسى وتكوين الشخصية عند فرويد، بل يكاد أن يكون من المفاهيم الأساسية فى أية نظرية للنمو. فهو فى معناه قريب من مفهوم المحاكاة أو التقليد، لكن فرويد لا يقصد به مجرد التقليد العارض أو السطحى، فهو يشير إلى ما يعترى الشخصية من تغيرات نتيجة استدماجها بخصائص وسمات شخص آخر، مع ثبات هذه التغيرات الجديدة واستمرارها على نحو تصبح فيه الشخصية بعد التوحد غير ما كانت عليه قبله. وهكذا ينظر للتوحد كوسيلة لاكتساب أو تعلم خصائص جديدة بما فى ذلك أساليب إشباع الحاجات وخفض التوترات والتعامل مع الذات والعامل الخارجى على حد سواء. وترجع خطورته إلى أنه يحدث غالباً فى مرحلة مبكرة من الطفولة وعلى مستوى لا شعورى.

ب- النظرية المعرفية:

لقد اتسمت أفكار بياجيه عن النمو العقلى المعرفى حتى تقدم تفسيراً شاملاً لتطور دور الجنس، والمُسلَّمة الأساسية فى هذه النظرية هى أن التنميط الاجتماعى هو الذى يحدد الدور الذكرى أو الدور الأنثوى للأفراد فى كل ثقافة من الثقافات الإنسانية (Kagan, 1964)، وتزود هذه التنميطات الاجتماعية بمجموعة الرموز. ويبدأ التنميط الجنسى عندما يقلب الطفل بذكر أو بأنثى.

ويرتبط هذا اللقب بمجموعة من التفاعلات الموجبة داخل المنزل (Kohlberg, 1966). وتخدم هوية النوع أو مفهوم الذات المرتبط بالنوع فيما بعد كمحدد للاتجاهات الاجتماعية والقيم. وتنشأ القيم المرتبطة بالذكورة أو الأنوثة مع الحاجة إلى استيعاب الأشياء التى تكون متسقة مع هوية الجنس.

ج- نظرية التعلم الاجتماعى:

وفقاً لنظرية التعلم الاجتماعى، فإن الطفل عند مراحل عمرية مبكرة يتعلم نوعه، أى أن الولد يتعلم بأنه ولد، والبنت تتعلم بأنها بنت، وما هو المتوقع من كل منهما. ويتأثر هذا التعلم بالتقليد والتعزيز المباشر، والتعزيز التعويضى، والمعرفة الاجتماعية. ويعتبر الآباء أو القائمون على تربية الأطفال بمثابة النماذج الرئيسية ووكالات التعزيز المباشر للسلوكيات المنمطة جنسياً.

فنجد أن الوالدين يشجعان فى الذكور سلوكيات السيطرة، والتوكيدية، والاستقلال المعرفى، والنشاطية، فى حين يشجع فى الإناث سلوكيات الدفء، والحساسية، والعطف، والمساعدة والتأييد، والتعاون. وعلى الجانب الآخر، نجد بعض الأطفال يسلكون سلوكيات ذكرية وأنثوية، وهذا نتيجة لتعزيز الوالدين لمثل هذه السلوكيات، فيكون الناتج لهذه السلوكيات، الخنوثية النفسية (Kelley and Worrell, 1976). ويرى كاجان Kagan (١٩٦٢) أن عملية التوحد نوع من أنواع التعلم يشبه الأنواع الأخرى من التعلم وأنها عرضة لكميات التعزيز الإيجابى

أو السلبى، كما أن التأثير النسبى للتعزيزات التى يقوم بها كل من الوالدين هو الذى يحدد مدى ملاءمة توحد الطفل مع الدور الجنسى.

ومما لا شك فيه، أن عمليات التطبيع الاجتماعى والأنماط الثقافية المختلفة تلعب دوراً كبيراً فى عمليات التنميط والتوحد الجنسى. وقد تعددت البحوث النفسية فى مجال التنميط الجنسى والأدوار الجنسية مثل دراسات هوجان Hugan (١٩٧٧)، وهاريس Harris (١٩٧٧)، وإتو Ito (١٩٧٨)، وسميث وبرادلى Smith and Bradley (١٩٧٩)، وبالإضافة إلى ذلك، انتهت دراسة فالبو Falbo (١٩٧٧) إلى أن الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة على مقياس الذكورة بغض النظر عن طبيعة النوع أكثر نفوذاً وتأثيراً على الآخرين. فى حين تبين أن الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة على مقياس الأنوثة بغض النظر عن طبيعة النوع أكثر استجلاباً لعطف الآخرين من أجل التأثير عليهم. وقام هوجس Hughes (١٩٧٩) بدراسة مقارنة ثقافية بين عينات أمريكية واسترالية وأيسلندية فى أنماط دور الجنس. ولتحقيق هدف البحث، تم تطبيق مقياس بيم لدور الجنس على عينة مكونة من ١٣٢ طالبة و١٠٥ طالباً من أيسلندا وقد قورنت نتائج هذه العينة بنتائج العينة الأسترالية المكونة من ٦٣٣ طالبة و٢٦٩ طالباً، وأخرى أمريكية مكونة من ٢٧٩ طالبة و٤٤٤ طالباً. وقد بينت النتائج أن إناث العينة الأيسلندية يحصلن على درجات مرتفعة فى مقياس الذكورة والأنوثة عن إناث العينتين الأمريكية والأسترالية. فى حين يحصل ذكور العينة الأسترالية والأمريكية على درجات مرتفعة على مقياس الذكورة.

ولتحديد تنميط دور الجنس ووجهات النظر المرتبطة بالاستحسان الاجتماعى لسمات الذكورة والأنوثة قام روست ولووويد Rust and Lloyd (١٩٨٢) بتطبيق مقياس دور الجنس على عينة مكونة من ٢٠٠٠ ذكر وأنثى فى الصف السابع حتى التاسع الدراسى. وقد بينت النتائج أن كلاً من الذكور والإناث يفضلون السمات

المنمطة جنسياً المرتبطة بالأنوثة. فى حين أنهم لا يفضلون السمات المنمطة جنسياً المرتبطة بالذكورة. وقد تم تفسير هذه النتائج فى ضوء أن سمات الأنوثة تعتبر من السمات الشخصية المقبولة اجتماعياً. وبالإضافة إلى ذلك، قام كيمليكا وآخرون Kimlicka, *et al.* (١٩٨٢) بدراسة العلاقة بين الأدوار الجنسية المقاسة بمقياس بيم لدور الجنس ودور الجنس المثالى للأفراد من الجنس الآخر على عينة مكونة من ١٦٩ طالباً و٢٠٤ طالبة. وقد تبين وجود اختلافات فى توزيع الدرجات لأدوار الجنس وأدوار الجنس المثالية للأفراد من الجنسين باختلاف النوع. كما تبين أن الأفراد الذين يحصلون على درجات مرتفعة فى مقاييس الخنوثة النفسية، والأنوثة، والذكورة، يقررون أن الإناث اللائى تحصلن على درجات مرتفعة فى مقياس الأنوثة أكثر مثالية، بينما تفضل الإناث اللائى تحصلن على درجات مرتفعة فى مقياس الذكورة بأنهن أكثر توكيدية من الذكور الذين يحصلون على درجات مرتفعة فى مقياس الذكورة.

وقام بيلشير وآخرون Belcher, *et al.* (١٩٨٤) بدراسة الفروق بين الجنسين فى إدراك الفروق الجنسية. ولتحقيق هدف البحث، تم تطبيق مقياس دور الجنس على عينة مكونة من ٢٢٠ طالباً و٤٢٠ طالبة، وباستخدام أسلوب التحليل العاملى لمعالجة نتائج البحث لكل عينة على حده، أسفر عن وجود عامل أكثر تشبعاً لعينة الذكور وهو عامل التوكيدية Assertiveness، ولعينة الإناث عامل التطلع المشرق إلى المستقبل Positive Outlook. وتهدف الدراسة التى قام بها جين ورينولدز Jean and Reynolds (٢٩٨٤) إلى الكشف عن الاتجاهات نحو تغيير دور الجنس. ولتحقيق هدف البحث، تم تطبيق مقياس الاتجاهات نحو المرأة ومقياس الحياد الجنسى على عينة مكونة من ١٢٧ طالباً و١٥٨ طالبة. وقد انتهت النتائج إلى أن الإناث تحصلن على درجات مرتفعة فى مقياس التحررية، فى حين يحصل الذكور على درجات مرتفعة فى مقياس المحافظة. وقد تم تفسير هذه النتائج فى

ضوء ما أسفرت عنه الحركات النسائية التحررية ومطالبها للمساواة بين المرأة والرجل. وللكشف عن الفروق بين الجنسين فى الاستجابة للألم وعلاقة هذا ببعض عوامل الشخصية، قام أتو ودوفر Otto & Dougher (١٩٨٥) بتطبيق مقياس بيم لدور الجنس، ومقياس الاستحسان الاجتماعى، والاستجابة للألم على عينة مكونة من ٤٠ ذكراً و٤٠ أنثى من الذين تتراوح أعمارهم من ١٨ إلى ٥٥ سنة. وقد انتهت النتائج إلى وجود تفاعل دال إحصائياً بين أبعاد الذكورة – الأنوثة والجنس على عتبة الألم لصالح عينة الذكور. فقد وجد ارتباطاً موجباً دالاً بين الذكورة المرتفعة وعتبة الألم المرتفعة.

وقام ليبلش وفريدمان Lieblich & Friedman (١٩٨٥) بدراسة الاتجاهات نحو الجنسية المثلية لدى الذكور والإناث وتنميط دور الجنس لدى عينة من الأفراد الإسرائيليين والأمريكيين. ولتحقيق هدف البحث، تم تطبيق المقاييس النفسية التالية: مقياس دور الجنس، ومقياس الاتجاهات نحو الجنسية المثلية، ومقياس الاستحسان الاجتماعى على عينة مكونة من ١٧٠ طالباً من الذكور والإناث الإسرائيليين. وقد بينت النتائج أن أفراد العينة الإسرائيلية أكثر معاناة من فوبيا الجنسية المثلية Homophobic وأكثر محافظة فى استقطاب دور دور الجنس Sex-Role Polarization من العينة الأمريكية. كما تبين أن الذكور أكثر معاناة من فوبيا الجنسية المثلية وأكثر محافظة فى استقطاب دور الجنس عن الإناث. وبالإضافة إلى ذلك، تبين وجود علاقة موجبة بين استقطاب دور الجنس ونبذ الجنسية المثلية لكل من أفراد العينة الإسرائيلية والأمريكية. وقد تم مناقشة النتائج فى ضوء الفروق بين الجنسين والتباينات الثقافية فى كل من المجتمع الإسرائيلي والأمريكى. وللكشف عن أنماط دور الجنس Sex Role Patterns بين عينة أيرلندية وأخرى أمريكية، قام ريان وآخرون Ryan, *et al.* (١٩٦٧) بتطبيق مقياس بيم لدور الجنس على عينة مكونة من ١٧١ طالباً و١٨٠ طالبة من أيرلندا.

وقد بينت النتائج أن توزيع الدرجات لمقاييس الذكورة والأنوثة لأفراد العينة الأيرلندية هو نفس توزيع الدرجات لأفراد العينة الأمريكية. ومع ذلك، فقد حصل الذكور الأيرلنديون على درجات منخفضة فى مقياس الذكورة ودرجات مرتفعة فى مقياس الأنوثة عن الذكور الأمريكيين. كما حصلت الإناث الأيرلنديات على درجة منخفضة فى كل من مقاييس الذكورة والأنوثة عن عينة الإناث الأمريكيات، بالإضافة إلى أنهن حصلن على درجات منخفضة فى مقياس الخنوثة النفسية عن الذكور الأيرلنديين.

الفروق الفسيولوجية والنفسية بين الذكور والإناث:

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾ [آل عمران: ٣٦]، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى ﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ [النجم: ٤٥]، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأُنثَى ﴾ [الليل: ١-٣]. وتلفتنا هذه الآيات القرآنية الكريمة إلى أن قضيتى الذكورة والأنوثة لا يمكن أن يقضى فيها بالنظر العابر أو الخطرة الطارئة، وإنما هى قضية الطبيعة، وقضية الكون الزوجى، ومكان الإنسان منهما، ولا يستقيم لنا الرأى السليم فى أمر من أمور الإنسان أو غيره؛ إلا إذا رجعنا فيه إلى أصالة نواميسه، وسنة خلقه.

وقد أقسم الله تعالى بما ﴿خلق الذكر والأنثى﴾ وهو تعالى أقدس وأحكم من أن يريد بقسمه مجرد ظاهر الذكورة والأنوثة، وإنما يريد التنبيه إلى شأنه تعالى فى الحكمة ونظام الخلق، فإنه إذا خلق كائناً ما، خلقه وفق نواميس خاصة به غاية فى الدقة، تحقق وظائف وثماراً هى فى مستوى دقة نواميسها، فيكون الكائن بهذا أية افتكار، واعتبار واستدلال ينير فى القلب أقصى طاقات الإعجاب، وتستنزل العقل على حكم الإذعان للصانع جل شأنه، وينفتح للب بذلك من معارف صفاته تعالى، ما

هو لباب العبرة والعلم. فإذا كان الله تعالى أخفى عنا حكمة خلقه العوالم، فإن ثمة حكمة تبدو للأذهان هي أن غايتها بالنسبة لنا معرفة الله تعالى بما هي حافلة به من دقائق العبر وعجائب النواميس، فإذا كانت نواميس الكائنات تقوم لكل كائن نظام وجوده وتؤدي له من الوظائف ما فيه مصلحته الخاصة، فإن أقدس منفعة لها هي دورها الذي تؤديه في الدلالة على الله.

ويمتاز الإنسان من الكائنات بمقدرته الخاصة على فهم تلك الدلالات في نفسه، وفي كل كائن .. فهو ككل كائن، آية تحمل من آثار صفات الله ما هو لباب العبرة والعلم، ولكنه ينفرد عن غيره بمواهبه التي تقرأ له أو تستخلص رحيق المعرفة في كل آية .. ولذا كان هو رأس كائنات، هذه الأرض المنفرد من بينها بخطاب الوحي ورسالة السماء.

على ضوء هذه الحقيقة، ندرك أن قسم الله بما خلق الذكر والأنثى يتضمن تقرير نواميس الذكورة والأنوثة، وما تؤدي من وظائف وغايات روحية وحسية، ويرشد إلى ما تتقدس به تلك النواميس والوظائف من دلالتها على الخالق، وهي حكمة وجودها، وبها استحقت أن يقسم بها الله، فإن النواميس والوظائف ليست مقدسة لذاتها بل لما تتضمن من الآثار الدالة عليه تعالى. وعلى هذا الفهم لحقيقة الإنسان وحكمة وجوده وصلته بعالم الروح ومكانه بين كائنات الطبيعة، يجب أن تعالج قضية الذكورة وقضية الأنوثة. وإننا بذلك نلتزم النهج الحق.

فإذا كان مرجع الأمر إلى النواميس التي تتكون منها حقيقة المرأة والرجل، فإن إجراء كل منهما على نواميسه هو المنطق الذي تقتضيه فطرته، ويحقق ثمرته الخاصة الروحية والحسية، ويكو كل منهما على أتم قدرته وصلاحيته لما خلق له، ويكون من تحصيل الحاصل أن نقول: إن المرأة صالحة للحمل والولادة والإرضاع والحضانة، ولتحقيق ثمار الزوجية والأمومة، وسائر عمل الأسرة والبيت، ويكون

من هذا القبيل أيضاً أن يقال: إن الرجل صالح لأعمال التكسب فى الخارج ونحوها (خولى، د.ت).

لذا ليس من نواميس الذكورة أن تعمل عمل المرأة، وليس من نواميس الأنوثة أن تؤدى مهمة الرجل، وإذا كان مرد الأمر إلى فطرة الخلق وطبيعة الاختلاف الكامنة بين عنصرى الإنسانية ووجود أحدهما ذكراً والآخر أنثى. فإن العلم الحديث قد أتى مبيناً الفروق الحقيقية بين الرجل والمرأة بما لا يصح الإعراض عنه، أو عدم الاعتداد به، بحيث تصبح المرأة فى خصائصها البدنية والنفسية على مثال خصائص الرجل نفسها. وبحيث يراد للأنثى أن تقوم بنفس الوظائف التى يقوم بها الرجل، لأن هذا الأمر يمثل تهافتاً فى منطق الحقيقة البدهية التى تفرض نفسها، مهما نازعها عوامل اصطناعية تتستر بأردية الشعارات.

ففى القرن الحالى، وفى ضوء التقدم العلمى المحير، أصبحت الفروق بين المرأة والرجل أكثر وضوحاً وتحديداً، وليست غشاً وافتراء، بل هى حقائق علمية تجريبية. وهذه الفروق لدى التحقيق، لا علاقة لها بكون الرجل جنساً أفضل والمرأة جنساً أدنى وأحقر، فإن الخالق يقرر تساويهما فى وحدة الجنس، وإن حكمة الخلق فى هذه الفروق تتجلى فى توثيق العلاقات العائلية بين الرجل والمرأة، وتقوية أساس الوحدة بينهما، وذلك من خلال توزيع المسؤوليات بين الرجل والمرأة ويحدد لها الحقوق والواجبات الأسرية.

والهدف من إيجاد هذه الفروق شبيه بالهدف الذى من اجله وجدت الفروق بين أعضاء الجسد الواحد. فهو سبحانه عندما عين مواقع العين والأذن واليد والرجل والعمود الفقرى لم يكن يفضل عضواً على آخر، أو يحب عضواً ويكره آخر. ولعل هذا الهدف هو إقامة التناسب بين الرجل والمرأة، من أجل أن يقوم كل منهما بوظيفته المحددة له فى الحياة.

وإننى أسجل بدءاً ما سجله أحد كبار الأطباء فى القرن العشرين فى بيان الفروق بين الذكر والأنثى بما يتعلق بكونهما كذلك، وما ينبغى الاعتداد به فى بحث الأمور العائدة لنوعيهما. فيقرر كاريل (١٩٧٤) أن للغدد الجنسية وظائف أخرى غير دفع الإنسان لإتيان عمل من شأنه حفظ الجنس .. فهى تزيد أيضاً من قوة النشاط الفسيولوجي والعقلى والروحى .. فليس هناك خصي أصبح فيلسوفاً عظيماً أو عالماً خطير الشأن أو حتى مجرماً عاتياً، لأن للخصيتين والمبايض وظائف على أعظم جانب من الأهمية، إنها تولد الخلايا الذكرية والأنثوية، وهى فى الوقت نفسه تفرز فى الدم مواد معينة تطبع الخصائص الذكرية أو الأنثوية المميزة على أنسجتنا وأخلاقنا وشعورنا، وتعطى جميع وظائفنا صفاتها من الشدة، فالخصية تولد الجرأة والقوة والوحشية، وهى الصفات التى تميز الثور المقاتل عن الثور الذى يجر المحراث فى الحقل، ويؤثر المبيض فى جسم المرأة بطريقة مماثلة، ولكن عمله يستمر فقط إبان جزء من حياتها، فحينما تبلغ المرأة سن اليأس تضمر الغدة بعض الشيء. وحياة المبايض القصيرة تجعل المرأة المتقدمة فى السن أكثر ضعة من الرجل الذى تظل خصيتاه نشيطتين حتى سن متقدمة جداً.

إن الاختلافات الموجودة بين الرجل والمرأة لا تأتى من الشكل الخاص للأعضاء التناسلية، ومن وجود الرحم والحمل، أو من طريقة التعليم، إذ أنها ذات طبيعة أكثر أهمية من ذلك .. إنها تنشأ من تكوين الأنسجة ذاتها ومن تلقيح الجسم كله بمواد كيميائية محددة يفرزها المبيض. ولقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليماً واحداً، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافاً كبيراً عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها .. والأمر نفسه صحيح بالنسبة لأعضائها، وفوق كل شيء بالنسبة لجهازها العصبى.

فالقوانين الفسيولوجية غير قابلة للين مثل قوانين العالم الكوكبى .. فليس فى الإمكان إحلال الرغبات الإنسانية محلها. ومن ثم فنحن مضطرون إلى قبولها كما هى، فعلى النساء أن ينمين أهليتهن تبعاً لطبيعتهن دون أن يحاولن تقليد الذكور، فإن دورهن فى تقدم الحضارة أسمى من دور الرجال، فيجب عليهن ألا يتخلين عن وظائفهن المحددة.

ثم يرى إن أهمية وظيفة الحمل والوضع بالنسبة للأم لم تفهم حتى الآن إلى درجة كافية، مع أن هذه الوظيفة لازمة لاكتمال نمو المرأة .. ومن ثم فمن سخف الرأى أن نجعل المرأة تتنكر للأمومة. ولذا يجب ألا تلقّن الفتيات التدريب العقلى والمادى، ولا أن تبث فى نفسها المطامع التى يتلقها الفتيان وتبث فيهم، يجب أن يبذل المربون اهتماماً شديداً للخصائص العضوية والعقلية فى الذكر والأنثى، وكذا لوظائفها الطبيعية. فهناك اختلافات لا تنقض بين الجنسين .. ولذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات فى إنشاء عالم متمدن.

وإذا كان النص السالف ينير أمامنا بعض الحقائق التى لا يصح الإعراض عنها، فإننى سأورد فيما يأتى بعضاً من الفروق الفسيولوجية والنفسية بين الذكر والأنثى:

[١] الفروق بين الذكر والأنثى على مستوى الخلايا:

إن هيكل المرأة الجسدى يختلف عن هيكل الرجل، بل وإن كل خلية من خلايا جسم المرأة تختلف فى خصائصها وتركيبها عن خلايا الرجل. وإذا دققنا النظر فى المجهر لهالنا أن نجد الفروق واضحة بين خلية الرجل وخلية المرأة. ستون مليون مليون خلية فى جسم الإنسان، ومع هذا فإن نظرة فاحصة فى المجهر تنبئك الخبر اليقين، هذه خلية رجل وهذه خلية امرأة، كل خلية فيها موسومة بميسم الذكورة أو مطبوعة بطابع الأنوثة.

إن الجسم الملون (صبغ) للذكورة يختلف فى شكله المميز عن صبغ الأنوثة، بل ولا يقتصر الاختلاف على الشكل والمظهر، إنما يتعداه إلى الحقيقة والمخبر، فصبغ الذكورة قصير سميك بالنسبة لصبغ الأنوثة، ومع ذلك فهو يجعل الخلية الذكرية أكثر نشاطاً، وأقوى شكيمة وأكثر إقداماً من شقيقتها الأنثوية.

[٢] الفروق بين الذكر والأنثى على مستوى الخلايا التناسلية:

وإذا سرنا فى سلم الفروق وارتفعنا إلى مستوى الخلايا التناسلية، سنجد الفرق شاسعاً والبون هائلاً بين الحيوانات المنوية (نطفة الرجل)، وبين البويضة (نطفة المرأة). ونظرة فاحصة إلى خصائص الحيوان المنوى الذى يقاس بالميكرون (واحد على مليون من المليمتر) تجعلنا نؤمن بأنه يجسد خصائص الرجولة، بينما نرى البويضة تجسد خصائص الأنوثة. فالحيوان المنوى له رأس مدبب وعليه قلنسوة مصفحة وله ذيل طويل، وهو سريع الحركة قوى الشكيمة، لا يقر له قرار حتى يصل إلى هدفه أو يموت. بينما البويضة كبيرة الحجم (١,٥ مليمتر) وتعتبر أكبر خلية فى جسم الإنسان الذى يحتوى على ستين مليون مليون خلية، وهى هادئة ساكنة تسير بدلال وتتهادى باختيال وعليها تاج مشع يدعو الراغبين إليها وهى فى مكانها لا تبرحه ولا تفارقه، فإن أتاها زوجها وإلا ماتت فى مكانها، ثم قذفها الرحم مع دم الطمث (البار، ١٩٨٧:٦٤-٦٦).

[٣] الفروق على مستوى الأنسجة والأعضاء:

وإذا ارتفعنا من مستوى الصبغيات (الكروموسومات) والخلايا إلى مستوى الأنسجة والأعضاء وجدنا الفروق الهائلة الواضحة لكل ذى عينين بين الذكورة والأنوثة .. فعضلات الفتى مشدودة قوية وهو عريض المنكبين، واسع الصدر، ضيق البطن، صغير الحوض نسبياً لا أرداف له ولا عجز كبير .. يتوزع الدهن جسمه توزيعاً عادلاً، وطبقة الدهن فى الغالب الأعم محدودة بسيطة . بينما نجد عضلات الفتاة رقيقة ومكسوة بطبقة دهنية تكسب الجسم استدارة وامتلاء مرغوباً

فيه، خالياً من الحفر والنتوءات الواضحة المتعاقبة التى لا ترتاح العين لرؤيتها. ولا تقتصر هذه الطبقة الدهنية على استدارة الجسم، وستر ما يعتوره من حفر أو نتوءات، بل إن بعض المناطق الخاصة تحظي بنصيب وافر منها. وإذا نظرنا إلى حوض المرأة مثلاً وجدناه يختلف عن حوض الرجل اختلافاً كبيراً، فحوض السيدة يمتاز عن حوض الرجل بالنسبة لقيامه بوظيفة هامة إضافية تتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التى لا يحتاج إليها حوض الرجل .. فنمو الجنين فى الحوض وطرق تغذيته وحفظه، ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة كل ذلك يستلزم بعض التغييرات والتعديلات التى يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للأم والطفل، وتنحصر كل هذه التغييرات فى أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر، وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريساً، وهناك تسعة عشر فرقاً بين حوض الرجل والمرأة (البار، ١٩٨٧: ٧١-٧٢).

[٤] الأبحاث العلمية الحديثة تفضح دعوى التماثل الفكرى بين الجنسين:

فى مقال نشرته مجلة (الريدرز دايجست) الواسعة الانتشار فى عدد ديسمبر ١٩٧٩ تحت عنوان: (لماذا يفكر الأولاد تفكيراً مختلفاً عن البنات) وهو ملخص لكتاب (الدماغ: آخر الحدود) The Brain: the Frontier last جاء ما يأتى: إن الصبيان يفكرون بطريقة مغايرة لتفكير البنات، رغم أن هذه الحقيقة الناصعة ستصدم أنصار المرأة والداعين إلى المساواة التامة بين الجنسين. ولكن المساواة الاجتماعية فى رأينا تعتمد على معرفة الفروق فى كيفية السلوك ومعرفة الفروق بين مخ الفتى ومخ الفتاة. وفى الوقت الحاضر فإن الفروق بين الأولاد والبنات التى لاحظها الآباء والمعلمون والباحثون على مدار السنين، تتجاهل تجاهلاً تاماً، ويقدم للطلبة والطالبات منهج دراسى متماثل.

إن طرق التدريس فى المدارس الابتدائية تلائم البنات. أكثر مما تلائم الأولاد ولذا فهم يعانون فى هذه المرحلة .. أما فى المراحل التى تليها حتى الجامعة فهى تلائم الفتيان أكثر مما تلائم الفتيات.

ويعتقد الباحثون الاجتماعيون أن الاختلاف فى سلوك الأولاد عن البنات، راجع إلى التربية والتوجيه فى البيت والمدرسة والمجتمع، التى ترى أن الولد يجب أن يكون مقداماً كثير الحركة، بل وتقبل منه أى سلوك عدوانى، بينما ترى فى الفتاة أن تكون رقيقة هادئة لطيفة.

ولكن الأبحاث العلمية تبين أن الفروق بين الجنسين ليس عائداً فحسب إلى النشأة والتربية، وإنما يعود أيضاً إلى اختلاف التركيب البيولوجى، وإلى اختلاف تكوين المخ لدى الفتى عن الفتاة، وحتى لو حاول الداعون إلى المساواة المطلقة بين الفتى والفتاة أن ينشئوهما على نفس المنهج، حتى لتعطى لعب المسدسات وآلات الحرب للفتيات وتعطى العرائس للأولاد، فإن الفروق البيولوجية العميقة الجذور ستفرض نفسها، وتؤدى إلى السلوك المغاير بين الفتى والفتاة.

ولقد أدرك العلماء والباحثون عمق هذه الفروق، فوجدوا أن الطفل الرضيع يختلف فى سلوكه على حسب جنسه .. فالبنت بعد ولادتها بأيام تنتبه إلى الأصوات، وخاصة صوت الأم، بينما الولد لا يكترث لذلك .. ولهذا فإن الرضيعة يمكن إخافتها بإحداث صوت مفاجئ أكثر مما يمكن إخافة أخيها.

كما تبين أن الطفلة تستطيع فى الشهر الخامس أن تميز بسهولة بين الصور المعهودة لديها .. وتبدأ الطفلة محاولة الكلام والمناغاة من الشهر الخامس إلى الثامن، بينما يفشل أخوها فى التفريق بين وجه إنسان ووجه لعبة .. وتبدأ الطفلة فى الحديث عادة قبل أخيها .. وتتمكن من تعلم اللغات فى الغالب أكثر من أخيها.

ويظهر الأولاد تفوقاً كبيراً على البنات فى الأمور البصرية، وفى الأشياء التى تتطلب توازناً كاملاً فى الجسم .. ويقوم الطفل الذكر بالاستجابة السريعة لأى جسم متحرك أو لأى ضوء غماز، كما أنه ينتبه إلى الأشكال الهندسية بسرعة أكبر من أخته، وله قدرة فائقه على محاولة التعرف عليها وتفكيكها (ويلر،٢٠٠٠: ١٥-٢٠).

وفى سن الصبا، فإن الأولاد يتوقون إلى التعرف على بيئاتهم، وينتقلون بكثرة من مكان إلى آخر لاكتشافها، بينما تميل البنات إلى البقاء فى أماكنهن. ويستطيع الأولاد التصرف بمهارة أكبر فى كل ما يتعلق بالأشكال الهندسية، وفى كل ما له اتجاهات ثلاثية Three Dimensional Objects. وعندما يطلب من الولد أن يكوّن شكلاً معيناً من ورق مقوى مثلاً، فإنه يتفوق على أخته فى ذلك تفوقاً كبيراً. وما يعتبر اكتشافاً مذهلاً هو أن تخزين القدرات والمعلومات فى الدماغ، يختلف فى الولد عنه فى البنت .. ففى الفتى، تتجمع القدرات الكلامية فى مكان مختلف عن القدرات الهندسية والفراغية، بينما هى موجودة فى كلا فصي المخ لدى الفتاة. ومعنى ذلك أن دماغ الفتى أكثر تخصصاً من مخ أخته. ولعل هذه الحقائق المكتشفة حديثاً تفسر ولو جزئياً، لماذا نرى أغلب المهندسين المعماريين من الذكور دون الإناث.

وإلى جانب هذا، نجد أن اختبارات الذكاء ترينا تساوياً بين الفتى والفتاة ما عدا فحصين منهما .. وهما فحص ترتيب الصور والفراغات بين الأصابع Picture arrangement and digital span. فإنهما يريان تفوقاً كبيراً فى صالح الأولاد على البنات. ولهذا فإن فحص الذكاء فى مجموعة يؤدى دائماً إلى تفوق الأولاد على البنات. لذا، فإن المساواة بين الجنسين تشكل عقبة كأداء فى القدرات الخلاقة. فالقدرات الخلاقة لدى الفتاة تحتاج إلى الحساسية والصفات الأنثوية، بينما تحتاج فى

الفتى إلى الاستقلالية وصفات الرجولة. وعلينا ألا نتجاهل الحقائق العلمية البيولوجية، فنحاول أن نجعل تربية الفتى مماثلة لتربية الفتاة ودور الفتى فى الحياة مماثلاً لدور الفتاة، لأننا فقط نرغب فى ذلك .. فهذا التفكير المبنى على الرغبات يصادم الحقائق العلمية.

وقد أثبتت الأبحاث الطبية أن دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة، وأن التلافيف الموجودة فى مخ الرجل هى أكثر بكثير من تلك الموجودة فى مخ المرأة. وترى أن المقدرة العقلية والذكاء تعتمدان إلى حد كبير على حجم المخ وعدد التلافيف الموجودة فيه. ويزيد مخ الرجل فى المتوسط عن مخ المرأة بمقدار مائة جرام. كما يزيد حجمه بمعدل مائتى سنتيمتر مكعب، ونسبة وزن مخ الرجل إلى جسمه هى ١/٤٠ بينما نسبة مخ المرأة إلى جسمها تبلغ ١/٤٤ فحسب (البار، ١٩٧٨).

تأثير بعض الأعراض الفسيولوجية على المرأة:

أولاً: الحيض:

الحيض هو العادة الشهرية أو الطمث الشهرى لدى النساء، وهو خروج الدم من الرحم فى دورات شهرية، كل نحو ٢٨ يوماً من سن البلوغ (١٤ سنة) إلى سن اليأس (٤٥ سنة). ويسبق حدوث الحيض فى وقت معين من كل شهر، تبدلات نفسية أو تبدلات مرضية طفيفة أو شديدة لدى غالبية النساء، ولكن قد يسبق حدوث الحيض أيضاً بأسبوع أو أكثر ألم شديد فى المنطقة السفلى من البطن، وخاصة بين النساء اللواتى لم يتزوجن بعد، وبين النساء اللواتى لم يلدن بعد. هذا الألم قد يكون شديداً فى أكثر الحالات، ويصحبه علامات أخرى كعدم الاستقرار النفسى والخمول الجسمانى، أو عدم توازن القوى العصبية والاكتئاب النفسي، كما يصاحبه تبدلات فى شخصية المرأة وتصرفاتها العامة، كامتلاء الأثداء وانعدام الشهية (بيرلم، ١١٨:١٩٨٩).

وقد استظهر بعض العلماء تأثير الحيض بما يأتى:

١- تصاب أكثر النساء بآلام وأوجاع فى أسفل الظهر وأسفل البطن .. وتكون آلام بعض النساء فوق الاحتمال مما يستدعى الطبيب واستعمال الأدوية المسكنة للألم.

٢- تصاب كثير من النساء بحالة من الكآبة والضيق أثناء الحيض، وخاصة عند بدايته .. وتكون المرأة عادة متقلبة المزاج سريعة الاهتياج قليلة الاحتمال .. كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون فى أدنى مستوى لها.

٣- تصاب بعض النساء بالصداع النصفى (الشقيقة) قرب بداية الحيض .. وتكون الآلام مبرحة وتصحبها زغللة فى الرؤية وقيء.

٤- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة وخاصة عند بداية الحيض .. وتميل كثير من النساء فى فترة الحيض إلى العزلة والسكينة. وهذا أمر طبيعى وفسيولوجي، إذ أن فترة الحيض هى فترة نزيف دموى من قعر الرحم .. وتكون الأجهزة التناسلية بأكملها فى حالة شبه مرضية.

٥- فقر الدم (الأنيميا) الذى ينتج عن النزيف الشهرى، إذ تفقد المرأة كمية من الدم أثناء حيضها .. وتختلف الكمية من امرأة إلى أخرى، وقد قيست كمية الدم أثناء الحيض وزناً وحجماً فوجد ما بين أوقيتين (٦٠ ميليلتر) وثمان أوقيات (مائتين وأربعين ميليلتر).

٦- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض بدرجة مئوية كاملة .. وذلك لأن العمليات الحيوية التي لا تكف فى جسم الكائن الحى، تكون فى أدنى مستوياتها أثناء الحيض. وتسمى هذه العمليات بالأيض أو الاستقلاب Metabolism ويقل إنتاج الطاقة كما تقل عمليات التمثيل الغذائى، وتقل كمية استقلاب المواد النشوية والدهون والبروتين.

٧- تصاب الغدد الصماء بالتغير أثناء الحيض، فتقل إفرازاتها الحيوية الهامة للجسم إلى أدنى مستوى لها أثناء الحيض.

٨- نتيجة للعوامل السابقة تنخفض درجة حرارة الجسم ويبطئ النبض وينخفض ضغط الدم، وتصاب كثير من النساء بالشعور بالدوخة والكسل والفتور أثناء فترة الحيض.

ومن المعلوم أن الأعمال المجهدة، والخروج خارج المنزل، ومواجهة صعاب الحياة، تحتاج إلى أعلى قدر من القوة والنشاط والطاقة .. فكيف يتأتى للمرأة ذلك وهى تواجه كل شهر هذه التغييرات الفسيولوجية الطبيعية التى تجعلها شبه مريضة .. وفى أدنى حالاتها الجسدية والفكرية.

ولو أصيب رجل بنزف يفقد فيه ربع لتر من دمه، لولول ودعا بالويل والثبور، وعظائم الأمور، وطلب إجازة من عمله .. فكيف بالمسكينة التى تنزف كل شهر ولا يلتف إليها أحد.

وانظر إلى آثار رحمة الله فى المرأة .. كيف خفف عنها واجباتها أثناء الحيض، فأعفاها من الصلاة ولم يطالبها بقضائها .. وأعفاها من الصوم، وطالبها بالقضاء فى أيام آخر، وأعفاها من الاتصال جنسياً بزوجها، وأخبرها وأخبر زوجها بأن الحيض أذى، وطلب منهما أن يعتزل كل منهما الآخر فى الحيض قال تعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة: ٢٢٢].

ثانيا: الحمل:

ينقلب كيان المرأة أثناء الحمل، وتبدأ الحامل بالغثيان والقيء .. وكثيراً ما يكون ذلك شديداً وخاصة فى الأشهر الأولى من الحمل .. وتعطى الأم جنينها كل ما

يحتاج إليه من مواد غذائية مهضومة جاهزة، حتى ولو كانت هى فى أشد الحاجة إليها .. بل إن الأمر أبعد من ذلك .. فإن الجنين يحصل على حاجاته من دم الأم، ولو اضطرت الأم المسكينة أن تعطيه ما يحتاج إليه من عظامها .. حتى لتصاب بلين العظام وتسوس الأسنان من جراء سحب الجنين للكالسيوم وفيتامين (د) من دم الأم وعظامها.

كما أن معظم الأمهات يصبن بفقر الدم أثناء الحمل، وخاصة فى النصف الثانى من مدة الحمل .. وذلك لانتقال المواد الهامة لصنع الدم من الأم إلى الجنين، وسحبها من أماكن خزنها فى جسم الأم. وفقر الدم (الأنيميا) ينهك الأم، وإذا زادت درجته فإنه يؤدى إلى هبوط القلب.

ولا يكون هذا فحسب، ولكن الجنين يسحب كل ما يحتاج إليه من مواد لبناء جسمه ونموه، حتى ولو ترك الأم شبحاً هزيلاً .. تعانى من لين العظام ونقص الفيتامينات وفقر الدم .. وهى تفعل ذلك راضية مختارة .. كما تقوم الأم بأخذ جميع المواد السامة التى يفرزها جسم الجنين وتطردها بدلاً عنه.

ولا تكتفى الأم بكل هذا، بل تعطى جنينها مواد المناعة ضد الأمراض، وتمنع عنه المشيمة كل ما يضره من مواد موجودة فى دم الأم، ولا تسمح لها بالمرور إلى الجنين، كما أنها تصد عنه دخول الميكروبات إلا فيما ندر.

وفى الحمل، يتحمل القلب أضعاف ما يتحمله قبل الحمل .. إذ عليه أن يقوم بدورتين دمويتين كاملتين، دورة للأم ودورة للجنين ويتحمل تبعات هاتين الدورتين .. وتزداد كمية الدم التى يضخها قلب الأم إلى ما يزيد عن ضعفى ما يضخه يومياً (يضخ القلب قبل الحمل حوالى ٦٥٠٠ لتر يومياً. أما فى أثناء الحمل وخاصة قرب نهايته، فتصل الكمية التى يضخها القلب إلى ١٥٠٠٠ لتر يومياً).

وتزداد سرعة القلب ونبضاته .. ويكبر حجمه قليلاً .. وبامتلاء البطن ونمو الجنين، يضغط الحجاب الحاجز على القلب والرئتين، فيصبح التنفس أكثر صعوبة، وتشكو الحامل من ضيق التنفس والنهجان وخاصة عندما تستلقى على ظهرها.

ويضغط الرحم على الأوردة العائدة من الساقين، فتمتلئ هذه الأخيرة بالدماء وتنتفخ مسببة دوالى الساقين .. كما تتورم القدمان قليلاً فى أواخر الحمل .. ويصاب الجهاز الهضمى من أول الحمل، فيكثر القيء وقلة الشهية والغثيان .. ثم بعد ذلك تزداد الحرقة والتهابات المعدة .. كما تصاب الحامل فى العادة بالإمساك، وتضطرب الغدد الصماء فى وظائفها .. وتصاب بعض النساء بتورم الغدد الدرقية أثناء الحمل نتيجة نقص اليود.

كل هذه التغييرات وأكثر منها تحصل فى الحمل الطبيعى .. وفى كثير من الأحيان، يضاف إلى هذه المتاعب التهابات المجارى البولية .. التى تزداد زيادة كبيرة أثناء الحمل . مما يؤدى إلى فقدان البروتين (الزلال) من البول وتورم الأرجل والأقدام والوجه وارتفاع ضغط الدم.

وهذا الأخير يعتبر أهم عامل فى حدوث حالات تسمم الحمل الخطيرة .. لذا فإن على الحامل أن تعرض نفسها على الطبيب مرة كل شهر لمتابعة حالتها، وفى أشهر الحمل الأخيرة ينبغى أن يراها الطبيب مرة كل أسبوعين.

ولن نتحدث عن حمل التوائم ومضاعفاته، ولا عن الحمل خارج الرحم وخطورته على حياة الأم .. ولا عن أمراض القلب، وأمراض الكلى، وتسمم الحمل، فكل هذه لها مجال آخر .. ولكننا نشير فقط إلى ما تكابده الأم من مشاق أثناء الحمل الطبيعى.

وفى أثناء الحمل يزداد وزن الأم بمعدل كيلوجرام وربع كل شهر، حتى إذا بلغ الحمل نهايته كانت الزيادة عشرة كيلوجرامات، سبعة منها للجنين وأغشيته والمشيمة .. وثلاثة منها زيادة فعلية فى وزن الحامل.

ولا تعانى الأم من كل هذه المصاعب الجسدية فحسب، ولكن حالتها النفسية كذلك تضطرب أيما اضطراب، فهى بين الخوف والرجاء .. الخوف من الحمل ومصاعبه والولادة ومتاعبها، والرجاء والفرح بالمولود الجديد .. وتضطرب نفسيتها وتصاب فى كثير من الأحيان بالقلق والكآبة .. وتقلب المزاج .. وتكون أكثر حساسية من أى فترة مضت، سريعة التأثر والانفعال والميل إلى الهموم والحزن لأتفه الأسباب .. وذلك بسبب التغير الفسيولوجي فى كل أجزاء الجسم .. لذا يجب أن تحاط بجو من الحنان والبعد عن الأسباب التى تؤدى إلى تأثرها وانفعالها، وخاصة من ناحية الزوج أو الذين يعيشون ويتعاملون معها (جعفر، ١٩٩٤أ).

ثالثا: آلام الولادة:

إن آلام الولادة تفوق أى ألم آخر .. ومع هذا فلا تكاد المرأة تنتهى من ولادة حتى تستعد لولادة أخرى .. ولا يكاد الطفل يخرج إلى الدنيا ويلامس جسمه جسمها، حتى يفتر ثغرها عن ابتسامة متعبة وهى تعطيه أول رضعة له من ثديها.

وفى الماضى، كانت الولادة عملية شديدة الخطورة، وتنتهى كثير من حالاتها بوفاة الأم أو وفاة الجنين أو وفاتهما معاً .. كما كانت حمى النفاس منتشرة بين الوالدات ..، ولكن أمكن خفض مضاعفات الولادة على الأم والجنين، ولكن الطب لم يتمكن ولن يتمكن من إزالة جميع مخاطر الولادة .. ولا تزال مجموعة من النساء يلدن بالعملية القيصرية .. ومجموعة أخرى يلدن بالجفت .. كما أن مجموعة قليلة تفقد حياتها أثناء الولادة أو بسبب حمى النفاس أو تمزق الرحم.

أما الأمراض المزمنة الناتجة عن الحمل والولادة، فلا تـزال رغـم التقـدم الطبى الهائل ليست بالقليلة. وأهمها أمراض الكلى وضغط الدم وأمـراض القلـب وأمراض الجهاز التناسلى وأمراض الكبد .. كما أن الأمراض النفسـية وحـالات الكآبة تكثر أثناء الحمل وفى فترة النفاس (جعفر، ١٩٩٤ب).

رابعا: النفاس:

تبقى الأم فى فترة النفاس أشبه بالمريضة .. وتعـانى مـن الإرهـاق بعـد المجهود الشاق الذى بذلته أثناء الحمل والولادة. ومن رحمة الله أن الرحم الذى كان يملأ تجويف البطن من عظم العانة إلى القص، ينزل مباشرة بعد الولادة إلى مستوى السرة وينخفض مستواه تدريجياً بمعدل سنتيمترين يومياً .. وفى خلال ستة أسـابيع يعود أدراجه إلى ما كان عليه قبل الحمل.

ولك أن تتخيل حالة الرحم فى نهاية الحمل وهو يتسع لأكثر من سبعة آلاف ميليلتر، ليعود بعد نهاية النفاس إلى عضو لا يتسع لأكثر من ميليلترين فقط .. كمـا أن وزنه عند نهاية الحمل بمحتوياته تبلغ ستة آلاف جرام منها:

١٠٠٠	جرام وزن الرحم ذاته
٣٥٠٠	جرام وزن الجنين
١٠٠٠	جرام وزن السائل الأمينوسى المحيط بالجنين
٥٠٠	جرام وزن المشيمة

أما فى نهاية فترة النفاس، فيعود الرحم إلى وزنه الطبيعى، وهـو خمسـون جراماً، وتعانى النفساء من صعوبة أثناء التبول وخاصة فى الأيام الأولـى، عقـب الولادة، نتيجة لتسلخات جدار المهبل وفتحة الفرج ومجرى البول أثناء الـولادة .. ولكن سرعان ما تزول هذه الآلام.

وتنصح النفساء بعدم الإجهاد لأن عضلة القلب لا تتحمل أى مجهود شديد .. ولكن ليس معنى ذلك أن لا تتحرك النفساء، بل إن حركتها الخفيفة مطلوبة لتنشـيط

الدورة الدموية، وخاصة فى الساقين .. ولكن الإجهاد ضار بالأم، وقد تحصل حالات هبوط مفاجئ نتيجة استعجال الأم فى الحركة الشديدة.

والغريب حقاً أن الجيل السابق من الأمهات كن يحرصن على الراحة التامة أثناء فترة النفاس بدرجة مبالغ فيها .. أما الجيل الحالى فعلى النقيض من ذلك، يحرص على الحركة والإجهاد بصورة مزعجة .. ولا شك أن المغالاة فى أحد الجانبين ليس فى مصلحة النفساء .. وأن خير الأمور أوسطها.